الولاء والبراء
في ميزان العقيدة الإسلامية

Loyalty and Disavowal:

An Analytical Study within the Framework of Islamic Creed

الدكتور عماد حمد عبدالله المحلاوي

Dr. Imad Hamad Abdullah Al - Mahallawi

imadaldeen2001@gmail.com

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 43
ISSN: 2225-9732
August 2026

الملخص

يُعد مبدأ الولاء والبراء من الأصول العقدية المهمة في البناء الفكري الإسلامي، إذ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتحقيق التوحيد الخالص لله تعالى.

أما البراء فهو البغض، والبراءة من الكفر والشرك وأهلهما وما يستلزم ذلك من الظلم والاعتداء.

ويُقصد بالولاء: المحبة والنصرة والانتماء، ويكون لله تعالى ولرسوله r وللمؤمنين.

يتناول هذا البحث التأصيل العقدي لهذا المفهوم من خلال نصوص القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، والاجماع لذا وجب الايمان بهذا الأصل والعمل بموجبه من دون إفراط أو تفريط، وقد جسد القران الكريم صوراً حية للولاء الحق لأهل الايمان، والبراءة التامة من أهل الكفر والطغيان.

الكلمات المفتاحية: الولاء، البراء، العقيدة، الإسلام، الايمان.

Abstract:

The principle of Al - Wala' wa al - Bara' (Loyalty and Disavowal(constitutes a fundamental creedal pillar in the Islamic intellectual framework, as it is intrinsically linked to the attainment of pure Monotheism)Tawhid(. Al - Bara' signifies aversion to and dissociation from disbelief)Kufr(, polytheism)Shirk(, and their adherents, including the rejection of consequent injustice and aggression. Conversely, Al - Wala' denotes love, support, and allegiance to Allah, His Messenger ﷺ, and the believers. This research examines the theological foundations of this concept through the textual evidences of the Holy Qur'an, the purified Prophetic Sunnah, and Scholarly Consensus)Ijma'(. Accordingly, it is imperative to believe in this principle and act upon its requirements without excess)Ifrat(or negligence)Tafrit(. The Holy Qur'an has manifested vivid depictions of true loyalty to the people of faith and total disavowal of the people of disbelief and tyranny.

Keywords: Loyalty and Disavowal)Al - Walā' wal - Barā'), Creed, Islam, Faith.

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد؛

البحث في مسألة الولاء والبراء هو بحث في مسألة عقدية مهمة أولاها القرآن أهمية عظيمة، وأكدها النبي ﷺ بأحاديث نبوية صحيحة تؤكد أن عقيدة الولاء والبراء لها مكانة عظيمة في الإسلام، وأن القيام بها واجب من حيث الاعتقاد والأثر والسلوك. فمن أصول الاعتقاد موالاة أهل الإيمان ومعاداة أهل الكفر، وهذه عقيدة مهمة لا ينبغي التفريط فيها أو إهمالها؛ لذلك وجب بيان أصول هذه العقيدة، وبيان أهميتها وضرورتها التي أهملها كثير من المسلمين ظناً منهم أنها ليست بتلك الأهمية التي تستحق ذلك الاهتمام، ولبيان ذلك قمت مستعيناً بالله بالبحث في بطون الكتب لغرض توضيح وبيان عقيدة الولاء والبراء.

أهمية البحث:

١. تنبع الأهمية من كون العقيدة هي الركيزة الأساسية للإسلام، مما يجعل دراستها والتحذير من نواقضها ضرورة شرعية لا يقبل الإسلام بدونها.

٢. توضيح أصول العقيدة التي ترتبط بصحة الإيمان.

٣. بيان المكانة الحقيقية لعقيدة الولاء والبراء، ودفع الوهم عما يعتبره البعض أمراً ثانوياً وهو في الحقيقة من أساسيات البناء العقدي والفكري في الإسلام.

٤. تحصين البناء العقدي والفكري لدى المسلم؛ من خلال بناء المواقف على أسس الانتماء العقدي في الولاء والبراء ضمن القواعد الشرعية المنضبطة.

مشكلة البحث:

١ - ماهي الدلالات اللغوية والاصطلاحية الدقيقة لمفهوم الولاء والبراء؟ وكيف يسهم تحرير هذه المصطلحات في ضبط التوصيف الشرعي من المنظور العقدي؟

٢ - ماهي طبيعة العلاقة بين الولاء والبراء وبين أصل الإيمان؟ وهل يعد الإخلال بضوابطهما نقصاً في العقيدة أم نقصاً في كمال الواجب؟

٣ - كيف تشكلَ مفهوم الولاء والبراء في السياق القرآني؟ وما هي المعالم المنهجية التي قدمها في التفريق بين الرابطة العقدية الايمانية وبين الروابط الأخرى كالقرابة والمصلحة والانتماء القومي من خلال قصص الأنبياء.

٤ - كيف يمكن أن يستمد المسلمُ المفاهيمَ القرآنية في علاج الخلل المعاصر في فهم حقيقة الولاء والبراء، وتمييزه عن الظلم والاعتداء، ووضعه في الميزان الشرعي الصحيح؟

منهج البحث:

١ - توضيح معنى الولاء والبراء لغة واصطلاحاً وبيان حقيقتهما؛ لبيان الحكم عليهما.

٢ - بيان علاقة الولاء والبراء بحقيقة الإيمان وأصول العقيدة.

٣ - الكشف عن المعنى الحقيقي للولاء والبراء من خلال النماذج القرآنية في قصص الأنبياء.

٤ - استقراء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بمفهوم الولاء والبراء.

٥ - نقل أقوال العلماء من المفسرين وشراح الحديث النبوي الشريف وعلماء العقيدة؛ لاستنباط القواعد الكلية التي بنوا عليها فهمهم لهذا الأصل.

٦ - تحليل النصوص للوقوف على معانيها الدقيقة وفهم دلالاتها في السياق اللغوي والشرعي ومقتضياتها في الجانب العقدي.

٧ - تأصيل القواعد المستنبطة من قصص الأنبياء والأمم السابقة في القران الكريم لتأكيد الجذور الشرعية للمفهوم العقدي في الولاء والبراء.

وجاء هذا البحث عن الولاء والبراء في ميزان العقيدة الإسلامية مشتملاً على:

المبحث الأول: تعريف الولاء والبراء

- المطلب الأول تعريف الولاء والبراء لغة
- المطلب الثاني تعريف الولاء والبراء اصطلاح

المبحث الثاني: مفهوم الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة

المبحث الثالث: ادلة الولاء والبراء

- المطلب الأول: من القران الكريم
- المطلب الثاني: من السنة النبوية المطهرة
- المطلب الثالث: الاجماع

المبحث الرابع: علاقة الولاء والبراء بالإيمان
المبحث الخامس: الولاء والبراء بين الافراط والتفريط
المبحث السادس: الولاء والبراء وقت تنزل القران
المبحث السابع: نماذج مختارة عن الولاء والبراء في الأمم الماضية.
- المطلب الأول: إبراهيم وابيه
- المطلب الثاني: نوح وابنه
- المطلب الثالث: امرأة فرعون
- المطلب الرابع: أصحاب الكهف
النتائج والخاتمة: لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.
ولا أدعي الكمال في هذا البحث، ولكنه جهد المقل فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: تعريف الولاء والبراء

- المطلب الأول: تعريف الولاء والبراء لغة

أولا: تعريف الولاء

جاء في معاجم اللغة العربية أن من معاني الولي هو ضد العدو، فيقال تولاه أي أصبح ولياً له، ومن معانيها المُعْتِقُ، والمُعْتَقُ وابن العم والناصر والجار والصهر، فكل من ولي أمر واحد فهو وليه، والموالاة ضد المعادات، يقال والى بينهما ولاءً أي تابع، ويقال افعل هذه الأشياء على الولاء أي على التتابع، ومنه قولهم: توالى عليه شهران، أي تتابع، والوِلاية بالكسر هي السلطان والولاية، ويقال تولاك الله أي ولي الله أمرك ويكون بمعنى نصرك الله وأيدك[1].

قال ابن الأعرابي: »الموالاة أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه، ووالى فلان فلاناً إذا أحبه«[2].

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: (٦ / ٢٥٢٩ - ٢٥٣٠).
(٢) لسان العرب: ابن منظور: (١٥ / ٤٠٩).

وقالَ ايضاً: »المَوْلَى (الجارُ والحَليفُ)، وهو من انضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك«[١].

والولاية بالفتح تطلق على معنى النسب والنصرة والعتق، أما بالكسر فهي بمعنى الإمارة[٢].

ثانيا: تعريف البراء

البراء في اللغة ضد الموالاة، فيأتي بمعنى التباعد والتخلص وعدم المساواة، قال ابنُ الأَعرابي: »بَرِئَ إِذا تخَلَّصَ، وبَرِئَ إِذا تَنزَّهَ وتباعَدَ، وبَرِئَ، إِذا أَعْذَرَ وأَنذَرَ؛ وَمِنْهُ قولهُ تعَالَى: (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ(، [سورة التوبة: ١] أَي إِعْذارٌ وإِنذارٌ. وَفِي حَدِيثِ أَبي هُرَيرة رضي الله عنه لَمَّا دعاهُ عُمَرُ إِلَى العَملِ فأَبَى، فقَالَ عُمر:)إِنّ يُوسُفَ قَدْ سأَلَ العَمَلَ(. فقالَ:)إِنَّ يُوسُفَ مِنِّي بَرِيءٌ وأَنا مِنْه برَاء) أَيْ بَرِيءٌ عَنْ مُساواتِهِ فِي الحُكْمِ وأَنْ أُقاسَ بهِ؛ وَلَمْ يُرِدْ بَراءَةَ الوِلايةِ والمَحَبَّةِ لأَنهُ مأْمورٌ بالإِيمانِ بِهِ«[٣].

- المطلب الثاني: تعريف الولاء والبراء اصطلاح

بالنظر الى تعريف الولاء والبراء في اللغة وما جاء من أدلة في القران الكريم والسنة المطهرة عن معتقد الولاء والبراء فإن المتأمل في ذلك يستدل الى أن معنى الولاء يتحدد بالمحبة والتأييد والنصرة، ومعنى البراء يتحدد بالبغض والتباعد وعدم النصرة، وهذه المعاني مستمدة من معانيها اللغوية المتقدمة ومن ورودها في القران والسنة؛ لذلك يمكن تعريف الولاء: هو حب الله ورسوله، والإسلام، والمسلمين، ونصرتهم.

والبراء: هو بغض كل ما يعبد من دون الله تعالى وبغض الكفر وملله وأتباعه ومعاداته والتخلي عنه، من خلال ما تقدم يمكن أن نعرف الولاء في الاصطلاح الشرعي بأنه الاقتراب من الشيء والدنو منه ومحبته ونصرته واتباعه عن طريق القول أو الفعل أو النية فإن كان الاقتراب تاماً فهو التولي وإن كان اقتراباً ناقصاً فهو الموالاة.[٤]

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: (٤٠ / ٢٤٤).
(٢) ينظر: المصدر نفسه: (٤٠ / ٢٤٦).
(٣) لسان العرب، ابن منظور: (١ / ٣٣).
(٤) ينظر: موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر من قضايا الولاء والبراء دراسة عقدية، مضاوي بنت سليمان البسام: (ص٣٣).

ومما تقدم يتبين أن تعريف الولاء بالحب والنصرة وكذلك البراء بالبغض والعدواء هو الأمر القلبي والتوجه العقدي في تمني نصرة الدين وتأييده، وكذلك البغض القلبي لاتباع الكفر وتمني زواله، أما الأمر العملي من ذلك فهو ثمرة لذلك الاعتقاد في الولاء والبراء يفيض من القلب الى الجوارح.

المبحث الثاني: مفهوم الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الولاء والبراء من أصول الدين، بل هو أصل عظيم منه، فلا تتحقق عقيدة المرء الاَّ بالإيمان بهذا الأصل المهم في الدين، خلافاً لمن لم يهتم لهذا الأصل من أهل الأهواء.

ومرتكز هذه العقيدة عند المسلمين مبنية على الحب في الله والبغض في الله، فهم يحبون ما أحبه الله ورسوله ويوالونه، ويبغضون ما أبغضه الله ورسوله ويعادونه، دون النظر الى درجة القربى في النسب أو العرق أو اللون.

جاء في العقيدة الطحاوية قوله: »ونحب أهل العدل والأمانة، حب أهل العدل من كمال الإيمان ونبغض أهل الجور والخيانة«[1].

»وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته. فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله، لا مع الله، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال.«[2]

وأهل السنة والجماعة ميزوا بين الإحسان الظاهر والتودد القلبي الباطن، فالإحسان الظاهر مطلوب لأهل الذمة الذين أمرنا الله في القرآن بالإحسان إليهم، قال تعالى: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ([سورة الممتحنة، ٨].

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي: (٢ / ٥٤٦).
(٢) المصدر نفسه.

وقال ﷺ: (إِنَّكُمْ ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم، فَاسْتوْصُوا بِهِمْ، فَإِنَّهُ قوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلَاغٌ إِلَى عدوكم بإذن الله» يعني قبط مصر)[1].

فلا بد من الجمع بين نصوص الإحسان لأهل الذمة وهو أمر مطلوب شرعاً؛ وبين التودد والموالاة القلبية المنهي عنها شرعاً؛ وهو مدخل دقيق يحتاج إلى فهم وتبصرة بالنصوص الشرعية والموازنة بينهما في فهم الولاء والبراء القلبي والإحسان الظاهري المطلوب في النصوص الشرعية.

فنحن نعامل أهل الذمة بما أمرنا الله تبارك وتعالى وبما جاء عن نبينا ﷺ امتثالاً لأمر الله وأمر نبيهﷺ لا محبة فيهم أو تعظيماً لهم، ولا نظهر آثار تلك الأمور التي نستحضرها في قلوبنا من صفاتهم الذميمة؛ لأن عقد العهد يمنعنا من ذلك، فبرهم والإحسان إليهم أمر مأمور به شرعاً، وودهم وتوليهم منهي عنه، فهما قاعدتان إحداهما محرمة والأخرى أمرنا الشرع بها[2].

فالولاء والبراء مرتبة قلبية انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أصناف: فصنف يجب محبته محبة خالصة لا معاداة فيها وهم أهل الإيمان، وصنف يجب بغضه بغضاً لا محبة فيه وهم أهل الكفر والنفاق والشرك، وصنف جمع بين كفر وإيمان وطاعة وعصيان وشرك وتوحيد ونفاق وإيمان فهؤلاء قد ورد الشرع بأنهم يدخلون النار تطهيراً لذنوبهم ثم يخرجون منها بأصل إيمانهم، وهذا أمر دل عليه القرآن والسنة وإجماع الصحابة والفطر السليمة[3].

المبحث الثالث: أدلة الولاء والبراء

- المطلب الأول: من القران الكريم

ورد في القران الكريم آيات صريحة في بيان عقيدة الولاء والبراء ومن هذه الآيات:

· قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ - وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [سورة المائدة: ٥٥ - ٥٦].

قال التستري: «ولا تتم الولاية من الله تعالى إلا بالتبري ممن سواه» [4].

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (١٥ / ٦٩).
(٢) الفروق، القرافي: (٣ / ١٦).
(٣) ينظر: كتاب الصلاة وحكم تاركها ابن قيم الجوزية: (ص ٤٢).
(٤) تفسير التستري: (ص٢٣).

وقال الطبري: «ليس لكم أيُّها المؤمنون ناصرٌ إلا اللَّهُ ورسولُه والمؤمنون الذين صِفَتُهم ما ذكَر تعالى ذكرُه، فأما اليهودُ والنصارى الذين أمَرَكم اللَّهُ أن تَبَرَّءُوا مِن وَلايتِهم، ونهاكم أن تتَّخِذوا منهم أولياءَ، فليسوا لكم أولياءَ ولا نُصَراءَ، بل بعضُهم أولياءُ بعضٍ، ولا تتَّخِذوا منهم وليًّا ولا نَصِيرًا»(١).

· وقال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [سورة التوبة: ٧١].

هذه الآية تؤكد مفهوم الولاء للمؤمنين وتحذرهم من موالاة أعداء الله طلباً للسكون أو الحظ، أو ركوناً الى نسب أو قرابة، او نظر الى مودة حميم، أو خوفاً من وحشة صديق، بل اجزموا أمركم وصمموا عقدكم على التبري من أعداء الله بكل وجه لأنهم أولياء بعض، والضدية قائمة بينكم الى يوم القيامة، فمن يتولهم منكم فقد التحق بهم وانخرط في عقدهم وعد من جملتهم (٢).

· وقال تعالى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ([سورة آل عمران: ٢٨]

هذه الآية قد نزلت بأمر الهي واضح المعاني وبيّن الدلائل؛ فقد نهى المولى جل جلاله المؤمنين من اتخاذ الكفار عوناً لهم وأنصاراً، ومعنى ذلك لا تتخذ أيها المؤمنون الكفار ظهيراً ونصيراً توالونهم على دينكم، وتتظاهرون بهم على المسلمين وتكشفون عوراتهم، فإن من يتجرأ بفعل ذلك (فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ(أي فقد برأت منه ذمة الله، وبرئ الله منه، وارتد عن دينه ودخل في عداد الكافرين،)إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) استثناء بسبب الخوف من سلطانهم تخافونهم على أنفسكم فتظهرون لهم الولاء بألسنتكم وتضمرون لهم العداء في قلوبكم، ولا تناصروهم على ما هم فيه من الكفر، ولا تظاهروهم على المسلمين بفعل(٣).

· (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) [سورة المجادلة: ٢٢].

(١) تفسير الطبري: (٨ / ٥٢٩).
(٢) ينظر: لطائف الإشارات، تفسير القشيري، للإمام القشيري: (١ / ٤٣٠).
(٣) ينظر: تفسير الطبري: (٥ / ٣١٦).

قال التستري: «كل من صح إيمانه فإنه لا يأنس بمبتدع ويجابهه، ولا يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه، ويظهر له من نفسه العداوة والبغضاء، ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن، ومن تحبب إلى مبتدع يطلب عزة في الدنيا وعرضا، أذله الله بذلك العز، وأفقره الله بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومن لم يصدق فليجرب».(١)

- المطلب الثاني: من السنة النبوية المطهرة

وردت نصوص في السنة المطهرة تدل صراحة على الولاء للمؤمنين والبراءة من أهل الكفر والشرك،

فأمّا في الولاء:

· عن النعمان بن بشير عن رسول اللهﷺ قال: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ: فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى). (٢).

· عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا). وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ. (٣).

· عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: (المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يُسْلِمُه.)(٤).

وأمّا في البراء:

· فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُبَايِعُهُ فَقُلْتُ: هَاتِ يَدَكَ، وَاشْتَرِطْ عَلَيَّ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالشَّرْطِ. فَقَالَ: «أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَنْصَحَ الْمُسْلِمَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكَ»(٥)

(١) المصدر السابق: (ص١٦٤).

(٢) صحيح البخاري: (٥ / ٢٢٣٨(: باب: رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث: (٥٦٦٥). وصحيح مسلم: (٨ / ٢٠): باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث:)٢٥٨٦).

(٣) صحيح البخاري: (١ / ١٨٢(: باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره. رقم الحديث: (٤٦٧). وصحيح مسلم: (٨ / ٢٠): باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث:)٢٥٨٥).

(٤) صحيح البخاري: (٢ / ٨٦٢(: باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه. رقم الحديث: (٢٣١٠). وصحيح مسلم: (٨ / ١٠): باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله، رقم الحديث:)٢٥٦٤).

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل: (٣١ / ٥٦٢). قال المحققون: حديث صحيح.

· وقد ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (أَحِبَّ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، لَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ)[1].

- المطلب الثالث: الاجماع

بعد ورود الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على عقيدة الولاء والبراء فقد أصبح معلوماً أن هذا الأمر لا يحتاج إلى إجماع أشخاص، بل هو ثابت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومع ذلك فقد نقل ابن حزم رحمه الله قوله: «وصح أن قول الله تعالى (وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُم فَإِنَّهُۥ مِنهُم) [سورة المائدة: ٥١] إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط - وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين.»[2]

المبحث الرابع: علاقة الولاء والبراء بالإيمان

عقيدة الولاء والبراء مرتبطة ارتباطاً متلازماً بالإسلام، فلا تنفك عنه؛ لأنه لا بد من مؤمن يوالي مؤمناً، ولا بد من مؤمن يتبرأ من كافر أو مشرك أو منافق، وهذا التلازم بين الولاء والبراء والإسلام منطلق من الترابط الكبير العقدي بين عقيدة الولاء والبراء المرتبطة أصلاً بعقيدة الإسلام، وهذا المعنى يؤكده القرآن الكريم في آياته وتؤكده السنة النبوية كما تؤكده أقوال العلماء، فمن ذلك قوله تعالى: (تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ - وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) [سورة المائدة: ٨٠ - ٨١].

فألزمهم الكفر بسبب توليهم الكفار، فاذا تولهم فهم بمنزلتهم في الكفر[3].

قال الزمخشري «يعنى أنّ موالاة المشركين كفى بها دليلاً على نفاقهم، وأنّ إيمانهم ليس بإيمان، وَلكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ متمرّدون في كفرهم ونفاقهم. وقيل معناه: ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدّعون، ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون»[4].

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة الكوفي: (٧ / ١٣٤).
(٢) المُحلَّى بالآثار، ابن حزم الأندلسي: (١٢ / ٣٣).
(٣) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي: (٢ / ٥٩٧(. والجامع لأحكام القرآن، القرطبي:)٢ / ٣٠).
(٤) تفسير الكشاف للزمخشري: (١ / ٦٦٧).

فبسبب وجود الترابط والتلازم بين عقيدة الولاء والبراء وبين الايمان فلا يمكن أن يجتمع الايمان مع موالاة الكافرين، كما لا يجتمع حب الكافر والايمان بالله في قلب المؤمن ابداً.

المبحث الخامس: الولاء والبراء بين الافراط والتفريط

عقيدة الولاء والبراء عقيدة قلبية ولها مظاهر شرعية، وبعض الناس يظهر غلواً ظاهراً في الولاء أو البراء والبعض الآخر يظهر تفريطاً ظاهراً في الولاء والبراء، والإسلام جاء بالعقيدة السمحة الوسط.

ومن مظاهر الغلو التي حذر منها الإسلام هو التكفير بالأعمال الظاهرة التي تخالف بظاهرها موجبات عقيدة الولاء والبراء، وسبب ذلك عدم فهم مناطق التكفير في الولاء والبراء فالولاء والبراء هو عمل قلبي مرتبط بالاعتقاد أما القيام بعمل ظاهره يخالف عقيدة الولاء والبراء دون النظر إلى حقيقة إيمان الشخص واعتقاده فليس هذا دليلاً موجباً للتكفير؛ بل هو ذنب وتقصير يحاسب عليه لكنه لا يخرجه من الملة ولا يجعله في عداد المشركين أو الكفرة أو المرتدين.

ودليل ذلك من سنة النبي ﷺ من قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: (بعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ، فقَالَ: (انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خاخ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فخذوه مِنهَا(. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَينَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فقُلْنَا، لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتينَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بلْتعَةَ، إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟). قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امرءاً مُلْصَقًا فِي قرَيْشٍ، يقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، مَنْ لَهُمْ قرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قرَابَتِي، وَلَمْ أَفعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بعْدَ الْإِسْلَامِ. فقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ). فقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فقَالَ: (إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ). فَأَنزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ)- إِلَى قَوْلِهِ –(فقَدْ ضَلَّ

سَوَاءَ السَّبِيلِ) [سورة الممتحنة: ١] (١).

فالحديث الشريف قد نص على تبرئة حاطب من النفاق. وكذلك ورد في الأثر أن شخصاً يسمى سهل بن بيضاء وكان قد أسلم وأخفى إسلامه وهو بمكة فلما خرج المشركون يوم بدر خرج معهم لأن ظاهره كان منهم أما حقيقة قلبه وتوجهه فكان مسلماً لكن عمله عمل المشركين، وعمله في الظاهر عمل الكافرين، فقد جاء يحارب النبي ﷺ مع المشركين فوقع في الأسر فقال النبي ﷺ: (لا ينفَلِتنَّ أحدٌ مِنهُم إلَّا بفِداءٍ أو ضَرْبِ عُنُقٍ)، فقالَ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ: فقُلتُ: يا رسولَ اللهِ، إلَّا سُهَيلَ بن بيْضاءَ فإنِّي سَمِعتُه يَذْكُرُ الإسلامَ، قال: فسَكَتَ رسولُ اللهِ ﷺ، قالَ: فما رَايتُني في يوْمٍ أخْوَفَ أنْ تقَعَ عليَّ حِجارَةٌ من السَّماءِ مِنِّي في ذلكَ اليوم حتَّى قال رسولُ اللهِ ﷺ: (إلَّا سهلَ بنَ البيْضاءِ)(٢).

فهذا الاستثناء من حضرة النبي ﷺ يدل على أن فعله ذنب لكنه لا يوجب الكفر ولا يوجب الخروج من الملة؛ لكنه مخطئ في ذلك، وقبل النبي عليه الصلاة والسلام شفاعة ابن مسعود فيه من غير أن يوجب عليه ردة أو كفراً.

ومن المظاهر الخاطئة في تطبيق عقيدة الولاء والبراء هو استباحة دماء الذميين أو المعاهدين أو استباحة أموالهم أو معاملتهم بغلظة وعنف من غير سبب يوجب ذلك إلا ادعاء أن هذا من مقتضى عقيدتنا بالولاء والبراء مع أن الدين علمنا الرفق واللطف بهم شريطة ألا يدل على علو الكافرين على المسلمين، ولا شك أن العنف واستباحة الدماء لأهل الذمة والمستأمنين ليس من الإسلام في شيء، و عقيدة الولاء والبراء منهم براء، فالإسلام يعارض ما يقوم به البعض من استباحة دماء المستأمنين من أهل الكتاب أو غيرهم من الذميين أو المعاهدين بحجة إقامة عقيدة الولاء والبراء، وسبب هذا الغلو هو الفهم القاصر في شمولية هذا الدين وعدم الإحاطة بالفهم الكامل لعقيدة الولاء والبراء، فإن الشريعة التي جاءت بعقيدة الولاء والبراء هي نفسها التي أمرت بالآداب والأخلاق والتعامل العالي مع غير المسلمين من الذميين والمعاهدين؛ لإظهار سماحة الإسلام من غير ذل أو ضعف، فالبعض يقتصر على جانب واحد دون النظر إلى الجوانب الأخرى، وكذلك عدم مراعاة المصالح والمفاسد؛ فإن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة

(١) صحيح البخاري: (٣ / ١٠٩٥): باب: الجاسوس. رقم الحديث: (٢٨٤٥). وصحيح مسلم: (٧ / ١٦٧): باب: من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة، رقم الحديث: (٢٤٩٤).

(٢) سنن الترمذي: (٥ / ٣١٨)، رقم الحديث (٣٣٣٨) قال المحقق: حسن لغيره.

وباب المصالح والمفاسد باب عظيم في شريعة الله، لذلك فإن أهل الغلو قد أخذوا جانباً وتركوا جانباً آخر؛ فالغفلة وعدم الاهتمام في فقه المصالح والمفاسد أظهر الإسلام بمظهر التطرف والغلو، وهذا بعيد كل البعد عن جوهر الدين وحقيقته، وعلى النقيض من ذلك من يذهب إلى التفريط في عقيدة الولاء والبراء، ويطالب بإلغائها بحجج واهية، ويدعي أنها تؤصل إلى ثقافة الكراهية للآخرين وتؤجج نار التطرف والغلو، وهذا الادعاء معناه ترك كثير من الآيات والأحاديث النبوية الصحيحة التي أجمعت الأمة عليها وأصبحت من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، فهذا الكلام كلام خطر جداً لا ينبغي أن يصدر من مسلم أبداً وإلا اتهم في عقيدته؛ لأنه يعني إلغاء أمر رباني جاء النص فيه في القرآن وفي السنة وأجمعت عليه الأمة لوضوحه وبيانه؛ فدعوة إلغائه والتفريط به هي دعوة لإلغاء أصل الإيمان وجذوته من قلوب الناس(١).

فما قام به أهل الغلو في عقيدة الولاء والبراء لا يسمح أبداً لأهل التفريط في إلغاء هذه العقيدة؛ لأن الخطأ في تطبيق الأمر الإلهي لا يعني إلغاء ذلك الأمر وإنما لا بد من تصحيح الفعل حتى يفهم الناس أن عقيدة الله مشتملة على الولاء والبراء المنضبط بشمول الشريعة بجوانب الرحمة والحكمة وعدم التهور.

المبحث السادس: الولاء والبراء وقت تنزل القران

فقد فهم الصحابة الكرام أوامر الله تبارك وتعالى وأوامر النبي ﷺ واتخذوها منهج حياة يسيرون عليه فالولاء والبراء عندهم عقيدة تسري في دمائهم؛ لذلك مدحهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بأكثر من موضع، وأنزل منهجا محكما في آياته يدل على حقيقة الولاء والبراء قال تعالى: (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) [سورة المجادلة: ٢٢].

فهذه الآية جمعت صهيب الرومي وبلالاً الحبش وسلمان الفارسي وأبا بكر الصديق العربي القرش تحت راية وحدة وهي راية: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وابتعدوا عن عصبية القبيلة واللون والجنس والأرض مصداقاً لقوله ﷺ: (دعوها فإنها منتنة)(٢) وعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ

(١) ينظر: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، القحطاني: (ص٢٣٥ - ٢٣٨).

(٢) صحيح البخاري: (٤ / ١٨٦١(: بَاب: قَوْلُهُ:)سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(، رقم الحديث:)٤٦٢٢(. وصحيح مسلم: (٨ / ١٩)، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما،

الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ) (١).

فالتعصب والولاء لغير منهج الله ودينة هو النتن الذي أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن ينتزعه من قلوب الصحابة الكرام، ويخفي هذه النعرات من قلوب المسلمين إلى يوم الدين؛ لذلك جعل الولاء والبراء عقيدة يمشي عليها الصحابة ويتأسى بها من بعدهم من التابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين، أما من حاد عن هذا الطريق وابتعد عن منهج الله سبحانه وتعالى فوليه هو الطاغوت، قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [سورة البقرة: ٢٥٧].

وهذا ما تعلمه الصحابة الكرام من توجيهات القرآن العظيم وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام حول عقيدة الولاء والبراء ففيها تحملوا الأذى والصبر على قول الحق.

المبحث السابع: نماذج مختارة عن الولاء والبراء في الأمم الماضية

- المطلب الأول: إبراهيم وابيه

ذكر القرآن الكريم شواهد حقيقة الولاء والبراء ومن أبرز الشواهد هي قصة سيدنا إبراهيم الخليل - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - فهو الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة في ولائه لله سبحانه وتعالى ولعباده المؤمنين، وبراءته بأعداء الله ومعاداتهم وكان منهم أبوه، فقد دعاهم إلى دين الله السيرة الحسنة والقدوة الحسنة، والكفر بالطاغوت وكل ما يعبد من دون الله، قال تعالى:)وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا *إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ

رقم الحديث:)٢٥٨٤).

(١) صحيح مسلم: (٦ / ٢٢(، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم الحديث: (١٨٥٠).

وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا) [سورة مريم: ٤١ - ٤٩].

فقد صدح إبراهيم بالولاء لأهل الايمان، والبراءة من أهل الكفر، فكانت نتيجة ذلك نقمة كبيرة من أهل الكفر عليه، وانتصاراً لآلتهم، فجمعوا له نارا عظيمة واجمعوا على حرقه فيها على أعين الناس، حتى يكون عبرة لمن تسول له نفس المساس بقدسية الهتهم المزعومة، وقد أبطل الله كيدهم، فجعل تلك النار بردا وسلاما على إبراهيم، وكانت معجزة تشهد له بالحق وتبطل دعواهم، قال تعالى:)قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ([سورة الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

هذه هي نقطة البداية في دعوة الخليل عليه السلام كانت دعوته بالحسنى، وابتدأ بأقرب الناس إليه وهو والده فدعاه بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن، ولكن رد الأب المتمسك بالباطل كان رداً يدل على ولائه للكفر وبراءته من الإيمان وأهله، فكان لا بد من اتخاذ قرار العزلة والابتعاد عمن رضي بالكفر ونفر عن الإيمان، وعدم مخالطتهم ومعاشرتهم قال تعالى: (قالَ أَفَرَءَيتُم مَّا كُنتُم تَعبُدُونَ * أَنتُم وَءَابَاؤُكُمُ ٱلأَقدَمُونَ * فَإِنَّهُم عَدُوّ لِّي إِلَّا رَبَّ ٱلعَٰلَمِينَ) [سورة الشعراء: ٧٥ - ٧٧].

كما قال نبي الله نوح لقومه وقد أعلن البراءة من شركهم وعبادتهم لغير الله حكى الله قوله: (فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ) [سورة يونس: ٧١].

وكما قال هود لقومة: (قال إِنِّي أُشْهِدُ اللهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [سورة هود: ٥٤ - ٥٦].

في ثم ذكر القرآن الكريم مشهداً وموقفا لسيدنا إبراهيم وأمرنا بأن نحذو حذوه وأن نتخذه قدوة حسنة في مسألة الولاء والبراء، قال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءؤا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) [سورة الممتحنة: ٤]

وعقيدة الولاء لأهل الإيمان والبراء من أهل الكفر والشرك هي وصية سيدنا إبراهيم لمن بعده من أهل التوحيد والإيمان قال تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءؤا مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فإنهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

[سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

فقد جعل الموالاة لله والبراءة من كل معبود سوى الله كلمة باقية في نسله وعقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم من أهل التوحيد، وهي كلمة لا إله إلا الله، والبراءة من أهل الكفر والشرك، وهي الكلمة التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة(١).

- المطلب الثاني: نوح وابنه

نوح نبي من انبياء الله الكرام أرسله الله إلى قومه فدعاهم فترة طويلة وصلت إلى قرابة الألف سنة إلا خمسين عاماً فلم يؤمن به إلا القليل، ومن الذين لم يؤمنوا به ولم يدخلوا في طاعته ولده الذي خرج من صلبه، وقد ذكر القرآن الكريم هذا الموقف بين الأب وابنه في حادثة الطوفان قال تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ) [سورة هود: ٤٢ – ٤٧].

موقف مؤلم بين الأب والابن فالوشيجة التي جمعت الأب والابن قد انفصلت هنا؛ لأن هناك وشيجة أعظم من وشيجة الدم والنسب ألا وهي وشيجة العقيدة والإيمان، فقد كان الأب نبياً مرسلاً من قبل الله، دعا إلى توحيد الله ونبذ الكفر والشرك؛ ولكن الابن لم يطع أباه لذلك كان مصيره الهلاك، وهو مصير كل من لم يؤمن بدعوة سيدنا نوح، وبقي في القلب شيء من علاقة الأب بالابن فجاء الرد من قبل الله: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) فالولاء أو البراء لا يكون بالقربى بل بالعقيدة؛ لأن الولاء والبراء مرتبة قلبية لها آثار وسلوكيات تتطلبها، لذلك اعتذر نوح لله سبحانه وتعالى بقول: (رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ).

(١) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن قيم الجوزية: (ص١٩٥).

وليس الأمر مقصوراً بين الأب والابن في قصة سيدنا نوح، بل ابتلاه الله سبحانه وتعالى بالزوجة أيضاً وهو ابتلاء عظيم، قال تعالى:)ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ([سورة التحريم: ١٠].

فقد كانت زوجته نوح توالي قومها، فخانت الأمانة العظيمة واندرجت على محبة قومها وما الفوه من معصية؛ لذلك كانت نتيجتها النار وبئس المصير، فالخيانة هنا ليست الفاحشة فهذا مما لا يليق بالأنبياء، بل كانت تخبر قومها بمن يأتي إلى بيت زوجها من الضيوف وهي تعرف ما يريده قومها منهم، فكان ولاؤها لقومها لذلك نالها من العذاب ما نال قومها.

- المطلب الثالث: امرأة فرعون

يضرب لنا القرآن الكريم مثالاً غاية في العظمة يجسد قمة الإيمان والاستعلاء على الكفر وأهله من قبل امرأة آمنت بالله تعالى وكفرت بالجبت والطاغوت هذه المرأة هي امرأة فرعون التي قال الله سبحانه وتعالى عنها: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [سورة التحريم: ١١].

هذه المرأة عاشت في قصر فرعون منعمة بكل النعم؛ لكن إيمانها بالله وولائها لدينه جعلها تنفر من فرعون وتتبرأ من قصره، وتدعو ربها ببيت في الجنة، وقد تبرأت من فرعون وعمله واستعلت بأبهى صورة للإيمان على أعظم ملوك الأرض يومئذ، هي امرأة واحدة تعيش في مملكة عريضة قوية وقفت بكل شموخ أمام أعتى قوة وجبروت وتمرد معلنة إيمانها بالله رب العالمين [١].

- المطلب الرابع: أصحاب الكهف

ومن صور الولاء والبراء التي ذكرها القرآن الكريم هم فتية أصحاب الكهف الذين تشربوا بالإيمان ونفروا من الكفر والشرك بالله تعالى فهجروا الأوطان وتركوا الأهل والأحباب حفاظاً على دينهم؛ عندما علموا أنه لا طاقة لهم بمواجهة الكفر وأهله، لذلك لجأوا إلى الكهف ودخلوا فيه فجعلهم الله سبحانه وتعالى آية على قدرته، ومعجزة عظيمة على حفظ الله لعباده الصالحين،

(١) ينظر: في ظلال القران، سيد قطب: (٦ / ٣٦٢٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [سورة الكهف: ١٣ - ١٦].

لقد كان موقف هؤلاء الفتية واضحاً وصريحاً وحازماً، فعندما تختلف الطرق، وتتعارض المناهج لا يعود هناك سبيل إلى أنصاف الحلول، أو المشاركة في حياة ملؤها الشرك بالله، فقد فرَّ هؤلاء الفتية بدينهم وعقيدتهم؛ لأنهم لم يكونوا أنبياء أو رسل حتى يواجهوا الحجة بالحجة، أو ينزل عليهم وحي يأمرهم بما يفعلون، إنما اختاروا - بعد أن هداهم الله للهدى في وسط ظلام الكفر - اختاروا أن يفروا بدينهم بعد أن كشف أمرهم(١).

والأمثلة في ذلك تطول فالولاء والبراء في منهج القرآن ومنهج النبي ﷺ هو عقيدة لا بد من تفعيلها في قلوبنا، ومنهج لا بد أن يكون المسلم عارفاً به مطبقاً له؛ لأن مخالفته تعني السير في ركاب العصاة وأهل الضلال.

النتائج:

· الإسلام هو الرسالة الخاتمة والشاملة، الى الثقلين من مبعث النبي ﷺ والى قيام الساعة.

· والانتماء لهذا الدين يكون بالفهم الحقيقي لكلمة التوحيد (لا إله الا الله محمد رسول الله) لأنه الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الإسلام.

· العبادة بمفهومها الشمولي لا يقتصر على إقامة الشعائر بل يمتد ليشمل الجوانب التعبدية والجوانب الحياتية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

· الرابطة الحقيقة بين المسلمين هي رابطة العقيدة التي تتجاوز حدود أي روابط أخرى.

· الصراع بين الحق والباطل وبين أولياء الرحمن واولياء الشيطان مستمر، وقد تكفل الله بنصرة عباده المؤمنين.

(١) ينظر: المصدر السابق: (٤ / ٢٢٦٢).

الخاتمة

· ضرورة النهوض بالأمة الإسلامية والعودة الصادقة الى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واعتماد فهم العلماء الثقات لمنهج الشريعة الغراء.

· التركيز على تربية الجيل الجديد على منهج الوحيين بفهم العلماء الربانيين وتطهير عقولهم من آثار الغزو الفكري والجاهلية المعاصرة.

· ترسيخ عقيدة الولاء والبراء وذلك بتعميق مفهوم الولاء للمؤمنين ونصرتهم والبراءة من أعداء الله وكيدهم، وجعل الانتماء العقدي فوق كل الانتماءات الضيقة.

· المسؤولية الجماعية واستشعار الوحدة بين المسلمين واغاثة المضطهدين في كل مكان.

· زرع روح التفاؤل بين المسلمين وبث اليقين بنصر الله في قلوب المؤمنين، والاعتقاد الجازم بوعد الله وبشارة النبي ﷺ بنصرة هذا الدين وهلاك اعدائه الكافرين.

· لن تقوم الامة الإسلامية وتنهض من رقادها الا بامتثالها الكامل للعقيدة الصحيحة وتطبيقها كنظام حياة حتى تستعيد هيبتها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.
· تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م).
· التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
· تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله التُستري (ت ٢٨٣ هـ) (هو مجموعة من أقوال التستري في التفسير، جمعها أبو بكر محمد بن أحمد البلدي)، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
· تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
· تفسير الكشاف، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
· الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
· الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
· سنن الترمذي، الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط (جميع الأجزاء)، دار الرسالة العالمية، الطبعة:

الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

· شرح العقيدة الطحاوية، عليّ بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: د عبد الله بن المحسن التركي - شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

· الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

· صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، وسَمّاه: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

· صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

· صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق: محمد ذهني أفندي واخرون، دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٣٣ هـ (طبعة مصورة بعنايته: د. محمد زهير الناصر عن دار الطباعة العامرة – تركيا، عام: ١٣٣٤هـ).

· الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، عالم الكتب (د.ط)، (د. ت).

· في ظلال القران، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة ٣٥، ٢٠٠٥م.

· كتاب الصلاة وحكم تاركها ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد تامر، دار التقوى، مصر (د.ط)، (د.ت).

· الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت ٢٣٥ هـ)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

· لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

· لطائف الإشارات، تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

· المُحلَّى بالآثار، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (الظاهري، ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية - بيروت، سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

· مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

· موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر من قضايا الولاء والبراء دراسة عقدية، مضاوي بنت سليمان البسام، إشراف الدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي سنة ١٤٢٥ - ١٤٢٦ هـ رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

· الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي)ت ١٤١٥ هـ) الناشر: دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.